الدّرس الخامس:

مظاهر التّغيّر الدّلالي

يعدّ موضوع التغيّر الدّلالي من أهمّ مواضيع الدّرس الدّلالي الحديث لارتباطه بجوهر الدّلالة كمبحث علميّ، ولكن في الوقت نفسه من أبعد المواضيع عن ضبط القوانين والقواعد كتلك التي تخضع لها التغيّرات الصّوتية والصّرفية والنّحويّة.

وقد لاحظ العلماء أنّ التّغيّر الدّلالي كثيرًا ما يحدثُ عند انتقال اللّغة من جيل إلى آخر، ممّا يؤدّي إلى عدم ثبات الظّواهر اللّغويّة على شكل واحد، ولذلك اجتهدوا في أن بحثوا عن أسباب هذا التّغيّر.. وأجملوها في فرعين رئيسيّين:

1/ أسباب داخلية مرتبطة باللّغة ذاتها، كتقارب صوتين من كلمتين مختلفتين، مثل: صراط–سراط، غلط–غلت... أو تلك التي تتعلّق بالسّياق، نحو كلمة (فشل) التي هي: الضَّعف في الأصل، وحوّلتها كثرة الاستشهاد بالآية الكريمة «ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم» إلى معنى الإخفاق.

2/ أسباب خارجيّة مرتبطة بالمجال الاجتماعي مثل لفظة (السّفر) التي هي أصلًا تدلّ على السّفور والجلاء، فانتقلت إلى مفهوم التّنقّل. أو هي مرتبطة بالمجال التّاريخيّ نحو كلمة (ريشة) التي نُقِلت في الاستعمال من على جلد الطّائر إلى معنى "الإبداع"...

والحقيقة أنّ الأسباب الخارجيّة أكثر تنوّعًا من الدّاخليّة، بحيث تتنوّع من المجال الاجتماعيّ إلى التّاريخيّ إلى النّفسيّ إلى الثّقافيّ...

إنّ البحث في أسباب التّغيّر الدّلالي يحيلنا مباشرة على مظاهر هذا التّغيّر، حيث حصرها العلماء في ثلاثة أشكال نجملها فيما يلي:

أ/ تعميم الدّلالة:

ويُقصد به التّوسعة في المعنى، ويكون بالانتقال من معنى خاص إلى معنى عام، ويصبح ما تدلّ عليه الكلمة أكثر من السّابق، كلفظة (البأس) التي كانت تعني "الحرب"، ثمّ عُمّمت لتشمل كلّ شدّة. وكلفظة (الوِرد) التي كانت تعني "إتيان الماء"، ثمّ صارت تعني كلّ إتيان...

ب/ تخصيص الدّلالة:

ويُقصد به تضييق المعنى والانتقال باللّفظ إلى معنى خاص بعينه لا يتعدّاه، كلفظة (الحجّ) التي كانت تعني القصد مطلقًا، فصارت دالّة على شعيرة معيّنة. وكلفظة (رثّ) التي كانت دالّة على كلّ صفة خسيسة، ثمّ انحصرت في اللّباس البالي...

ج/ انتقال الدّلالة:

إذا كان النّوعان السّابقان مرتبطين بكون أحدهما أضيق من الآخر أو العكس، فإنّ المعنى الجديد هنا ليس أخصَّ من المعنى القديم ولا أعمّ، بل هو مساوٍ له. وعادةً ما يكون انتقال المعنى بتغيّر الدّلالة من المحسوس إلى المجرّد تدريجيًّا، عن طريق الاستعارة أو المجاز، ومن أمثلة ذلك:

- **الرّطانة:** وهي الإبل مجتمعةً مع إصدارها أصواتًا مبهمة، وتدلّ على كلّ كلام مبهم أو أعجميّ..

- **الحِقد:** وهو احتباس المطر، ويدلّ أيضًا على الغيظ والكره المكتوم..

- **الشتاء:** وهو الفصل المعروف، ويدلّ على الغيث...

- ومنه إطلاق الجزء على الكلّ كإطلاق الضّاد عل العربيّة، والهلال على الإسلام، والصّليب على المسيحيّة.

الأستاذ إبراهيم صالحي